ورقة بحثية بعنوان:

دبلوماسية الفاتيكان: سياسية أم دينية؟

إعداد: ولاء علي

معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية

كلية الدراسات العليا

جامعة بيرزيت – فلسطين

2020

تقديم

تشكل دولة الفاتيكان اليوم منارة للسلام وتقارب الشعوب من خلال دبلوماسيتها وسياستها المعتدلة المنفتحة على الحوار، وكذلك مشاركتها الفاعلة في مؤسسات ومنظمات المجتمع الدولي، كما أنها عملت كوسيط في المنازعات والصراعات على مر التاريخ، من خلال بناء جسور الحوار والتواصل بين مختلف الشعوب والأمم.

استطاعت مدينة دولة الفاتيكان[1] أن تحوز على دور فاعل في المشهد الدولي رغم افتقارها لمقومات الدولة بمعناها النمطي بين الدول[2]. ومن هذا التعريف، تنتج عدة تساؤلات: كيف لدولة بهذه المساحة أن تثبت وجودها ويكون لها دور فاعل على الساحة الدولية؟ وستحاول هذه الورقة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. كيف يمكن التأثير في قضايا السلم والحرب في عالم مضطرب دون وجود قوة عسكرية أو اقتصادية؟
2. هل تتحرك دولة الفاتيكان سياسيّاً بغطاء ديني، أم تتحرك دينيّاً بغطاء سياسي؟

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن دولة الفاتيكان تمتلك شخصية قانونية دولية لها القدرة على التأثير في العلاقات الدولية، وذلك من خلال أقدس شخصية دينية في الطائفة المسيحية في العالم، وهي البابا، ومن خلال جهاز دبلوماسي يتكون مما يقارب 180 ممثلاً وسفيراً حول العالم؛ عن طريق توظيف الدبلوماسية والقوة الناعمة من أجل الترويج للوئام الإنساني والسلام العالمي، لذلك، فإنه يصعب الفصل بين الدين والسياسة في نشاطها الدبلوماسي.

تستخدم هذه الدراسة المنهج الاستنباطي لمعالجة إشكالية الدراسة وأسئلتها، إذ يرتكز في إطاره النظري على أطروحة صاموئيل هنتغنتون بعنوان "صراع الحضارات"، التي برزت عام 1993، وهي من أكثر المقاربات التي يمكن اعتمادها لتفسير العلاقات الدولية بعد أحداث 11 سبتمبر، لا سيما أن الأخيرة نتج عنها صراع من نوع جديد بين الشرق والغرب قائم على اختلافات دينية وفكرية. من خلال هذه الأطروحة، يمكن فهم طبيعة الصراع الجديد الذي ظهر على الساحة الدولية بعد تلك الأحداث، ودور الدين والثقافة والفكر في إعادة ترتيب العلاقات بين الدول، ومنها يمكن فهم دبلوماسية دولة الفاتيكان وتأثيرها على العالم، لما تتمتع به هذه الدولة من ظروف استثنائية، فهي لا تستجمع العناصر والمقومات الرئيسية التي تميز الدولة، مثل القوة العسكرية والاقتصادية والبشرية، إلا أنها تتمتع بالسيادة الروحية التي تتجاوز حدودها الجغرافية لتضم ما يزيد على مليار مسيحي كاثوليكي حول العالم، إضافة إلى وضعها القانوني كدولة مستقلة معترف بها دوليّاً؛ فإن ذلك يعلل قدرتها على التأثير في العلاقات الدولية من خلال الدبلوماسية وشخصية البابا الدينية المقدسة روحيّاً[3].

---

[1] سميت الفاتيكان بمدينة دولة الفاتيكان لأنها تقع داخل حدود دولة أخرى هي إيطاليا، تحديداً داخل العاصمة روما، بشكل يشبه إلى حد ما مبنى البنتاغون في أميركا، وبمساحة جغرافية لا تتعدى نصف كيلومتر، وتعداد سكاني لا يتجاوز الـ1000 نسمة.

[2] ريهام الزيني، "الفاتيكان الدولة الأكثر غموضاً"، الموقع الإلكتروني لصحيفة البيان، (28 ديسمبر 2019)، https://2u.pw/ZRMax.

[3] تخة لمياء، "دور البعد الديني في السياسة الخارجية للدول: نموذج دولة الفاتيكان"، (رسالة ماجستير)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2017. صفحة: 22. https://2u.pw/4Nezm

مراجعة الأدبيات

خلال المراجعة الأدبية لما كتب عن دبلوماسية الفاتيكان، يتضح أن هناك شحّاً في المصادر العلمية التي تتناول بشكل مباشر التاريخ الدبلوماسي لدولة الفاتيكان منذ الاعتراف بها ككيان مستقل وحتى تاريخه. وسيتم تقسيم الأدبيات إلى مجموعتين: المجموعة الأولى تتناول الحديث عن دور العولمة والأديان، ومن ضمنها الفاتيكان، في تمكين الحوار العالمي. والمجموعة الثانية تتناول الحديث بشكل مباشر أكثر عن ماهية دبلوماسية دولة الفاتيكان ودورها خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

وسعت دولة الفاتيكان، من خلال دبلوماسيتها، إلى تخفيف حدة الصراع بين الدول المتنازعة بحكم ثقلها الديني وشخصية البابا المقدسة التي تلقى احتراماً وقبولاً على المستوى الدولي، كما أنها تسعى إلى نشر تعاليم الدين المسيحي الكاثوليكي في العالم. في كتاب بعنوان: "التصورات اللاهوتية المسيحية عن المسلمين منذ مجلس الفاتيكان الثاني"[4] (Washington 2002)، ناقش فيه مؤلفه محمود ايدن، مبادرة الحوار الديني التي سارعت الكنيسة الكاثوليكية المتمثلة بالفاتيكان إلى إنشائه ما بعد مجلس الفاتيكان الثاني (1962-1964)، والسعي المسيحي الفردي والجماعي لإيجاد مفاهيم وقراءات للأديان والأيديولوجيات الأخرى، من أجل اكتشاف مساحات الاختلاف والتشابه، والعمل على تعميق حوار السلام العالمي والتقليل من الصراع، في ظل حقبة زمنية تشهد تطوراً تكنولوجيّاً كبيراً، كان للعولمة من خلال هذا التطور دور في تعقيد بعض الأزمات في أحيان، أو تمكين سبل التعاون في أحيان أخرى، فكان على الفاتيكان أن تجد صيغة ملائمة تستثمر فيها هذا التطور التكنولوجي، ما يعزز دورها على الصعيد الدولي، كونها المرجعية الدينية لملايين المسيحيين حول العالم، من أجل تعزيز حوار الأديان لمواجهة الاختلافات الفكرية والدينية التي تؤثر على العلاقات الدولية بشكل سلبي في أغلب الأحيان.

المؤلف آلفن توفلر في كتابيه: "صدمة المستقبل"[5] (Random House 1970) و"الموجة الثالثة"[6] (Bantam 1980)، توقع أن البشر بصدد التحرك نحو عالم لا تتناقص فيه المعرفة، حيث التطور التكنولوجي والمعلوماتي الذي سيربط شعوب العالم مع بعضها ويخلق بيئة أكثر تجانساً واحتراماً لاختلاف الآخر. هذه المقاربة أقرب ما يمكن إسقاطها على الدبلوماسية العالمية، لا سيما عند اقترانها بالعولمة، إذ يحتم الواقع الجديد ظهور أساليب وأنماط جديدة للدبلوماسية تستطيع من خلالها أن تستوعب تبادل الأفكار والقيم في زمن الحضارات المفتوح. من وجهة نظر المؤلف، فإن تلاقح الأفكار هذا سيخلق انعكاساً إيجابيّاً على التواصل والتقارب بين الشعوب، الأمر الذي من شأنه أن يشكل اندماجاً وتجانساً عالميّاً معولماً يخفف حدة التوتر بين الدول.

---

[4] Mahmoud Aydin," Modern Western Christian Theological Understandings of Muslims since the Second Vatican Council", Washington, DC: The Council for Research in Values and Philosophy, 2002.

[5] Alvin Toffler, "Future Shock", Random House Publications, USA, 1970.

[6] Alvin Toffler, "The Third Wave", Bantam Books Publications, USA, 1980.

في هذه المجموعة، يتم تسليط الضوء بشكل مباشر أكثر على تاريخ ودبلوماسية الفاتيكان، ففي كتاب جاء على شكل سيرة ذاتية للراهب ذي الأصول الأميركية جوزيف هارلي بعنوان: "دبلوماسية الفاتيكان السرية"[7] (Yale Uni. Press 2008)، يستعرض المؤلف تشارلز كاليجر التاريخ الدبلوماسي للكرسي الرسولي، إضافة إلى الفترة الزمنية التي مارس فيها الراهب هارلي الدبلوماسية بنفسه، والصراع بين أصوله الثقافية الأميركية وولائه لكنيسته التي تسعى لنشر السلام والتقليل من الصراعات. كما يوضح هذا الكتاب دبلوماسية الفاتيكان خلال القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين، ومحاولتها التكيف مع متغيرات كل حقبة زمنية، موضحاً موقف الكرسي الرسولي من الكثير من الأحداث، مثل النازية والحرب الباردة.

وفي كتاب بعنوان: "الكرسي الرسولي كفاعل للقوة الناعمة"[8] (Libadmin 2015)، يوضح المؤلف جان أوسترتشر أن مصطلح "دبلوماسية الفاتيكان" قد يسبب إشكالية، على الرغم من استخدامه بشكل شائع، لأنه لا يعبر عن دبلوماسية دولة الفاتيكان، بل دبلوماسية الكرسي الرسولي. وبسبب هذا الإرباك، فإنه لا بد من التعريف الواضح لهما. ومن ناحية أخرى، فإن كلا الكيانين مترابط بشكل وثيق وراسخ في القانون الدولي، ولهما نفس الزعيم: البابا. كما يستعرض في كتابه أن المسيحية في عدة بلدان أوروبية في تراجع، إلا أن البابا لا يزال فاعلاً مهمّاً للغاية، وتعد دبلوماسية الفاتيكان واحدة من أبرز وأهم أشكال القوة الناعمة في العالم، من خلال مؤسساتها التي تقدم العديد من الخدمات الإنسانية في كافة المجالات لشريحة كبيرة من الأشخاص، بغض النظر عن أصولهم الدينية والفكرية والسياسية.

❖ طبيعة وآلية عمل الدبلوماسية في الفاتيكان

كانت "الدولة البابوية أول دولة تؤسس مدرسة متخصصة لتحضير الدبلوماسيين، وهي مدرسة "رجال الدين الإكليريوس النبلاء"، التي أسسها البابا كليمان الحادي عشر سنة 1701، ولا تزال موجودة إلى اليوم"[9]. في العام 1871، قامت إيطاليا بإصدار ما سمته "قانون الضمان، حيث اعترف للبابا بصيانة ذاته وببعض القصور والمباني الخاصة وإعطاء حق تبادل الممثلين الدبلوماسيين مع الدول، مع تمتعهم بالحصانات والامتيازات الدبلوماسية المقررة في القانون الدولي العام"[10]، لا سيما بعد اعتزام دول كبرى في ذلك الحين تبادل التمثيل الدبلوماسي مع البابوية، مثل بريطانيا وفرنسا. هذه المكانة الدولية للبابوية، وحاجة إيطاليا

---

[7] Charles R. Gallagher, **Vatican Secret Diplomacy**, (Yale university press, USA, 2008).

[8] Jan Osterreicher, **The Holy See as a Soft Power Actor**, (2nd International Multidisciplinary Scientific Conference on Social Sciences and Arts, Book 2. Albena: STEF92 Technology, Libadmin, 2015). https://2u.pw/TFC9U .

[9] موريس قديح، "الفاتيكان: دبلوماسية بهوامش مناورة كثيرة"، موقع صحيفة الأخبار الإلكتروني، (2017). https://tinyurl.com/y22bh7hp

[10] محمود بوبوش، "القوة الناعمة للبابا في العلاقات الدولية المعاصرة"، المعهد المصري للدراسات، (2019). https://tinyurl.com/y37wlxxz

بزعامة موسوليني إلى تنظيم العلاقات بينهما، دفعتا الزعيم الإيطالي إلى "عقد اتفاقية لاتران Lateran في 11 فبراير 1929، وفيها اعترفت إيطاليا بدولة الفاتيكان"[11].

تسعى دولة الفاتيكان، ممثلة بالبابا، إلى التبشير ونشر تعاليم المسيحية الكاثوليكية حول العالم، إذ كان لها دور بارز في الحرب الباردة في احتواء الشيوعية من خلال المواظبة على دفع شعوب الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية نحو التدين، وهو ما ترفضه الشيوعية. لقد تم ذلك من خلال تعاون مشترك بين إدارة ريغان والبابا يوحنا بولس الثاني، وهو بولندي الأصل"[12]، إذ كانت بولندا من كبرى الدول المعارضة للشيوعية. و"اتفق الطرفان على دعم المعارضة البولندية المتمثلة في حركة (سوليدارنوسك)، واستخدام كل ما لديهما من موارد لزعزعة استقرار الحكومة البولندية"[13]، من خلال الإغراءات الاقتصادية، فبدأت دولة الفاتيكان بإدخال المساعدات المادية لدفع السكان إلى التمسك بالإصلاحات السياسية والتحول إلى النظام الديمقراطي. و"في الثاني من يونيو 1979، زار البابا بولس الثاني بلده الأم، وهي أول زيارة بابوية إلى دولة شيوعية، وكشفت ما يحظى به الكرسي الرسولي من شعبية ونفوذ في المجتمع البولندي"[14]. تكررت زيارة البابا مرة أخرى لبولندا، إذ دعم من خلال زياراته اتحاد نقابات العمال المستقلة، وساعدها على الوصول إلى السلطة، لتصبح أول حكومة حرة في الكتلة الشرقية، من خلال مطالبته القوية بحرية الممارسة الدينية والعقيدة في دول العالم الشيوعي، وبخاصة في وطنه الأم. جرت في عام 1989 انتخابات في بولندا، أدت إلى تشكيل حكومة ائتلاف، وفي السنة ذاتها، "زار ميخائيل غورباتشوف يوحنا بولس الثاني في الفاتيكان، واعتبر هذا اللقاء انتصاراً للمسيحية على الشيوعية السوفييتية"[15].

ويعتبر الفاتيكان دولة مستقلة داخل العاصمة الإيطالية روما، "ولغة الكرسي الرسولي الرسمية هي اللاتينية، وتستعمل الإيطالية في الفاتيكان بشكل واسع بحكم الأمر الواقع"[16]، إلى جانب ذلك، يعترف الكرسي الرسولي بـ38 لغة، أبرزها: الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والبولندية، وتغطي نسبة كبيرة من اللغات المنتشرة بين أتباع الكنيسة الكاثوليكية في العالم. ويقوم الجيش الإيطالي بحماية الفاتيكان بشكل غير رسمي، وتقوم قوات

---

[11] د. عبد العزيز سليمان، د. نعنعي نوار، التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، (دار النهضة العربية: بيروت– لبنان، 2014). ص: 544.

[12] مجموعة مؤلفين، العرب والولايات المتحدة الأميركية: المصالح والمخاوف والاهتمامات في بيئة متغيرة"، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: بيروت، 2017). https://tinyurl.com/yyugnhb7

[13] المرجع السابق.

[14] مجموعة مؤلفين، "العرب والولايات المتحدة اللأميركية: المصالح والمخاوف والاهتمامات في بيئة متغيرة"، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: بيروت) 2017. https://tinyurl.com/yyugnhb7

[15] "يوحنا بولس الثاني: دوره الرئيسي في انهيار الاتحاد السوفييتي"، موقع أليتيا الإلكتروني، (25 أبريل 2015)، https://2u.pw/FLzm1.

[16] مايكل عياد، "في ذكرى استقلال الفاتيكان.. تعرف على تاريخ أصغر دول العالم"، البوابة القبطية، (2018) . https://tinyurl.com/y475b7mp

تسمى الدرك بالحفاظ على الأمن الداخلي، إضافة إلى الحرس السويسري، وهو وحدة تابعة للكرسي البابوي، وهو كيان قانوني سياسي معترف به دولياً يرأسه أسقف روما"[17].

يمكن تقسيم سكان الفاتيكان إلى قسمين رئيسيين هما: رجال الدين، ويشغلون أغلب مراكز المسؤولية في المدينة، ويكتسبون الجنسية الفاتيكانية أو "الرعوية البابوية بحكم وظائفهم فقط"[18]، فبمجرد تركهم لوظائفهم، يعودون إلى جنسياتهم الأصلية. القسم الآخر هم المواطنون العاديون الذين يقومون بخدمة الفاتيكان من أعمال التنظيم والحراسة وغيرها. ومن يطلق عليهم سكان الفاتيكان هم جميعاً ذكور ولا تربطهم روابط الدم، لأنهم فعلياً موظفون ومعترف بهم مثل سُكان دولة الفاتيكان في ذات الوقت. إن سيادة الفاتيكان لا تقتصر "على حدود الدولة الصغيرة المحاطة من جهاتها الأربع بمدينة روما الإيطالية، لكنها متجاوزة لتشمل نحو مليار و147 مليون نسمة، هم مجموع المسيحيين الكاثوليك في العالم والتابعين للقيادة الروحية لبابا الفاتيكان، الذي هو بمثابة رئيس الدولة"[19]، فالجغرافيا البشرية التي تتعدى حدود الدولة هي بلا شك أحد مصادر قوة حاضرة الفاتيكان.

لم يكن القصد من معاهدة لاتران خلق كيان سياسي للفاتيكان وتنصيب البابا بالمعنى الدارج، إنما القصد كان تمكين البابا من ممارسة سلطته الدينية "كرئيس للكنيسة الكاثوليكية. من جهة أخرى، يمكن القول إن شخصية البابا تتمثل في كونه رسول المسيح ويتمتع بسيادة روحية على العالم المسيحي الكاثوليكي. بالتالي، هو شخصية قانونية ولكن من نوع خاص، مع عدم إغفال جواز اشتراك دولة الفاتيكان في اجتماعات الجمعية العامة في الأمم المتحدة والمؤتمرات الدولية، عند مناقشة مصالح وأمور تمس الأمن العالمي مثل البيئة والفقر والمجاعات؛ وهي أمور تقع ضمن نطاق ممارسة البابا لشخصيته الدولية، بالتالي، فإن تدخل الفاتيكان في الأزمات الدولية يكون بدافع إنساني وديني وأخلاقي يتمثل في الدعوة إلى حق البشرية في العيش بسلام، دون الانحياز لطرف أو التدخل في الخلافات السياسية بين الدول. على سبيل المثال، انتقد البابا فرنسيس عزم ترامب إقامة جدار فاصل على حدود أميركا مع المكسيك"[20]، داعياً إلى إقامة جسور حوار مع الآخرين، وأنه ليس هناك مبرر حقيقي لمثل هذا القرار. البابا لم يتطرق إلى الأسباب والأبعاد السياسية بشأن الجدار، لكن تدخله جاء من دافع يرفض هذا التصرف الذي من شأنه أن يزيد حدة العنصرية والحنق تجاه المهاجرين في أميركا.

---

[17] Olga Kuznetsova, **Vatican City,** (Farmington Hills, MI, USA, 2002) page: 10.

[18] محمود بوبوش، "القوة الناعمة للبابا في العلاقات الدولية المعاصرة"، المعهد المصري للدراسات، (2019). https://tinyurl.com/y37wlxxz

[19] محمد العتر، "أسرار من دولة الفاتيكان المقدسة"، موقع ساسة بوست الإلكتروني، (2015). https://tinyurl.com/y6j68c9l

[20] مصطفى كامل، "بابا الفاتيكان عن جدار ترامب: الخوف من المهاجرين يدفعنا للجنون"، الموقع الرسمي لوكالة الأناضول الدولية، (2019) https://tinyurl.com/y3te9vsv.

إن دبلوماسية الفاتيكان فريدة من نوعها، كونها لا تعتمد مثل بقية الدول على مقومات معينة مثل حجم الدولة ومواردها الاقتصادية والبشرية وعدم امتلاكها لأي قوة عسكرية، ومن أجل فهم كيان هذه المؤسسة، يجب أولاً التفريق بين دولة الفاتيكان والكرسي الرسولي:

- دولة الفاتيكان: وهي البقعة الجغرافية التي تبلغ مساحتها أقل من نصف كيلومتر مربع، يتمتع فيها البابا بالسلطة العليا بشكل مطلق، بما في ذلك السلطة القانونية والتنفيذية والتشريعية. وتقوم دولة الفاتيكان بمساندة أنشطة الكرسي الرسولي والمحافظة على إرثه الديني والثقافي والفني، "أي أنها وسيلة تأكيد حرية واستقلالية الكنيسة الكاثوليكية، وخاصة الكنيسة العالمية، التي يسعى الفاتيكان إلى إنشائها على الأرض وفقاً لكاثوليكية روما"[21].
- الكرسي الرسولي: وهو سيادة البابا المجردة والمطلقة على جميع التابعين للكنيسة الكاثوليكية حول العالم، والبالغ تعدادهم ما يزيد على مليار ومئة ألف نسمة. "وهذه المؤسسة، حتى وإن لم تكن تمتلك أية أراضٍ، فهي معترف بها من كافة المنظمات الدولية"[22].

هذا التداخل بينهما يجعل من الصعب التفريق بين معالم سيادة كل منهما[23]، فكل من دولة الفاتيكان والكرسي الرسولي يملك حصانات وصلاحيات بموجب قوانين دولية معترف بها. ويتم التفريق بين دوريهما في إطار القانون الدولي من خلال التمييز بين الأنشطة التي يمارسها كل من الكرسي الرسولي ودولة الفاتيكان. على سبيل المثال: إذا قام الكرسي الرسولي بتوقيع اتفاقية تقنية كاتفاقية الاتحاد الدولي للاتصالات، فإن ذلك يعني أنه يتصرف كسلطة عليا لدولة الفاتيكان. أما إذا قام الكرسي الرسولي بتوقيع معاهدة بابوية متصلة بالشؤون الدينية مع دولة ما، فإن ذلك يعني أنها علاقات بين الكنيسة الكاثوليكية (الكرسي الرسولي) وتلك الدولة، "وهي ما يطلق عليها اسم الكونكوردات، كتلك التي عقدها الكرسي البابوي مع إسبانيا عام 1953 مثلاً، ومع هنغاريا عام 1964"[24].

---

[21] محمود بوبوش، "القوة الناعمة للبابا في العلاقات الدولية المعاصرة"، المعهد المصري للدراسات، (2019).
https://tinyurl.com/y37wlxxz

[22] موريس قديح، "الفاتيكان: دبلوماسية بهوامش مناورة كثيرة"، موقع صحيفة الأخبار الإلكتروني، (2017).
https://tinyurl.com/y22bh7hp

[23] هناك مادتان على قدر من الأهمية وردتا في اتفاقية لاتران عام 1929 بين الدولة الإيطالية والكرسي الرسولي تسهمان في تحديد الكيان الدولي للبابوية:

أولاً، المادة 2: "إيطاليا تعترف بسيادة الكرسي الرسولي في المجال الدولي بصفة متضمنة لطبيعته، بالتوافق مع تراثه ومتطلبات رسالته في العالم".

ثانياً، المادة 3: "إيطاليا تعترف للكرسي الرسولي بالملكية التامة والسلطة الخاصة والمطلقة والتشريع السيادي على الفاتيكان كما هو مكوّن حالياً بكل تبعياته وأوقافه. محمود بوبوش، "القوة الناعمة للبابا في العلاقات الدولية المعاصرة"، المعهد المصري للدراسات، (2019). https://tinyurl.com/y37wlxxz

[24] د. عصام العطية، القانون الدولي العام، (الطبعة السادسة المنقحة: بغداد- العراق، 2006). ص:558.

فيما يخص العلاقات الدبلوماسية بين دول العالم والكرسي الرسولي، يتم أحياناً الخلط بين الأخير ودولة الفاتيكان، ففي الوقت الذي يقوم فيه السفراء الأجانب بتقديم أوراق اعتمادهم داخل الفاتيكان، هم في الواقع يقدمون الأوراق إلى الكرسي الرسولي وليس لدولة الفاتيكان، "وبحكم وضعه الخاص، فإن الكرسي الرسولي هو الذي يتولى مهام العلاقات الدبلوماسية وليس دولة مدينة الفاتيكان، وهذه الدبلوماسية تعتمد على تنظيم مؤسسي، تترأسه الأمانة العامة بقيادة أحد الكرادلة الذي يقوم بدور رئيس الوزراء، ويقود أيضاً الكيان الدبلوماسي"[25].

اليوم، لدى الفاتيكان شبكة دبلوماسية للكرسي الرسولي، تحاول بناء وتمكين هذه الجسور الدبلوماسية مع جميع الدول أيّاً كانت أنظمتها السياسية، "إذ تمتلك واحدة من أكبر الشبكات الدبلوماسية دوليّاً، قوامها تبادل التمثيل مع 180 دولة، أي أكثر بـ12 دولة من الولايات المتحدة"[26]، إضافة إلى أن سفراء ومبعوثي البابا الدوليين يمارسون مهامهم بكونهم ممثلي الكرسي الرسولي وليس دولة الفاتيكان، لذلك، "فإن رجال الدبلوماسية البابوية قساوسة من مختلف الجنسيات تم تكوينهم في الأكاديمية الإكليروسية"[27]، أي أنهم رجال دين ويرتدون زي الكهنة، ويطلق على الفرد منهم مسمى القاصد الرسولي.

ويتمتع بابا الفاتيكان، وهو القائد الروحي الأعلى للكنيسة الكاثوليكية، بعدة صفات وألقاب، منها أسقف روما وخليفة المسيح على الأرض ورأس الكنيسة المنظورة، كما يلقب بالحبر الأعظم وصاحب القداسة والأب الأقدس. ويتم انتخاب البابا من قبل مجمع الكرادلة مدى الحياة، في مارس 2013 "انتخب كرادلة الكنيسة الكاثوليكية أول بابا من أميركا اللاتينية، الكاردينال جورج ماريو بيرغوليا –أسقف العاصمة الأرجنتينية بوينس آيرس– خليفة البابا بنديكتوس السادس عشر، الذي استقال من المنصب الذي شغله لثماني سنوات لدواعٍ صحية"[28].

في نوفمبر عام 2017، أصدر البابا فرنسيس مرسوماً قضى فيه بتشكيل إدارة عليا جديدة (وزارة)، سميت "إدارة العاملين في الشؤون الدبلوماسية"، الغرض من إنشائها "هو إظهار اهتمام وقرب البابا فرنسيس من المسؤولين والموظفين الدبلوماسيين، حيث سيكون من صلاحيات رئيسها القيام بزيارات دورية إلى مقار البعثات الدبلوماسية الفاتيكانية في العالم"[29]، وتعنى هذه الوزارة برعاية شؤون العاملين والمنتسبين إلى الجهاز الدبلوماسي الفاتيكاني من خلال تأهيلهم وتدريبهم ومتابعة أنشطتهم وأعمالهم، كل في موقعه.

---

[25] د. زينب عبد العزيز، "الفاتيكان: خلفيات وأهداف"، (2011). ص: 20 https://tinyurl.com/y33uvf5q

[26] موريس قديح، "الفاتيكان: دبلوماسية بهوامش مناورة كثيرة"، موقع صحيفة الأخبار الإلكتروني، (2017). https://tinyurl.com/y22bh7hp

[27] د. زينب عبد العزيز، "الفاتيكان: خلفيات وأهداف"، (2011). ص: 20 https://tinyurl.com/y33uvf5q

[28] "معلومات عن دولة الفاتيكان"، موقع BBC عربي نيوز الإلكتروني، (2017). **https://tinyurl.com/y3s8y9cc**

[29] محمود الكيلاني، "بابا الفاتيكان يستحدث وزارة جديدة لتأهيل ورعاية شؤون الدبلوماسيين"، الموقع الإلكتروني لوكالة الأناضول، (2017). https://tinyurl.com/y48e5l9k

أصبحت الفاتيكان ممثلة بالكرسي الرسولي دولة غير عضو (مراقب) في الأمم المتحدة عام 1964 باسم "المراقب الدائم لمهمة الكرسي الرسولي بالأمم المتحدة"[30]، ويحق لمن يتمتع بهذه الصفة المشاركة في الاجتماعات المختلفة لمنظمة الأمم المتحدة والحديث في الجمعية العامة، والمشاركة في المناقشات وتقديم التعديلات والمقترحات، إضافة إلى أن للفاتيكان ممثلاً لدى العديد من المنظمات والوكالات الدولية، مثل منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية الدولية ومنظمة العمل الدولية، وأخرى غير رسمية، مثل الجمعية العالمية للطب والجمعية العالمية للعلوم التاريخية، إلى جانب العديد من الاتفاقيات التقنية الدولية "كاتحاد البريد العالمي"[31].

❖ **توظيف الفاتيكان للقوة الناعمة**

استطاعت دولة الفاتيكان أن تستثمر في قوتها المعنوية، كونها المرجع الروحي لما يزيد على مليار كاثوليكي حول العالم، وعززت هذا الدور من خلال التوفيق بين متطلبات هذا العصر ورؤيتها المتمثلة في تدعيم الفكر الكاثوليكي بشكل خاص، والترويج ونشر السلام الإنساني بشكل عام. في هذا الإطار، يجدر الحديث عن منظمة سانت إيجيديو، "وهي منظمة كاثوليكية دولية يعود تاريخها لعام 1968، وتقوم، بالإضافة لنشاطاتها الإنسانية من مساعدات وبرامج لتأهيل الفقراء، بدور أساسي ولافت في السعي من أجل السلام والتوسط في النزاعات"[32]. وتعتمد دبلوماسية منظمة سانت إيجيديو في تحقيق السلام بين الدول على فهم ثقافة الأطراف المتنازعة وتطوير علاقات شخصية معهم لخلق جو من التفاهم والتعاون، فيما يمتنع مسؤولو المنظمة عن ممارسة أي نوع من الضغط على الأطراف، وإنما خلق قنوات للحوار من أجل حل النزاع بالطرق السلمية[33].

إعلاميّاً، يمتلك الفاتيكان شبكة إعلامية تعتبر واحدة من أكبر الشبكات على الصعيد الدولي بإمكانيات تأثير هائلة على الجمهور، كما أنها تبقيه على اطلاع على كل ما يجري حول العالم. هناك مثلاً "شبكة راديو الفاتيكان التي تخاطب العالم بأربعين لغة، ببرامج دينية وثقافية وموسيقية موجهة، إضافة إلى شبكة تلفزيونية بكفاءة مميزة، إذ إن الفاتيكان له قمر صناعي خاص به (لومن 2000)"[34].

على المستوى التعليمي والأكاديمي، "تدير الكنيسة الكاثوليكية أكثر من 200 ألف مدرسة و1700 جامعة حول العالم، وحين نعلم أن غالبية طلاب هذه المؤسسات التعليمية غير مسيحيين، يتبين لنا حجم الدور

---

[30] الموقع الإلكتروني الرسمي للأمم المتحدة، استرجع بتاريخ 29 أبريل 2019، https://tinyurl.com/y53nqzeo

[31] د. زينب عبد العزيز، "الفاتيكان: خلفيات وأهداف"، (2011). ص: 20 https://tinyurl.com/y33uvf5q

[32] "تعرف على سانت إيجيديو.. منظمة كاثوليكية تسعى للتوسط من أجل السلام"، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية– لندن، (2018). https://tinyurl.com/y5o68ux8

[33] المصدر السابق.

[34] د. زينب عبد العزيز، "الفاتيكان: خلفيات وأهداف"، (2011). ص: 21 https://tinyurl.com/y33uvf5q

التربوي الذي يضطلع الفاتيكان به وأثره على الأجيال الصاعدة"[35]، وهي أرقى تجليات القوة الناعمة المؤثرة، هذا إلى جانب العمل في مجالات التأهيل المهني والصحة والمساعدات الخيرية والاجتماعية من خلال منظمات دولية غير ربحية تديرها الفاتيكان بشكل مباشر مثل فرسان مالطا، "حيث يبلغ عدد أعضائها ما يقارب 22 ألف فرد، و93 ألف متطوع دائم، يعملون في 120 دولة، ويعملون بشكل خاص في رعاية المسنين والمشردين واللاجئين والأطفال الذين لا مأوى لهم، والمرضى ومدمني المخدرات، دون تمييز، سواء على أساس الدين أو الجنسية أو الظروف الاجتماعية"[36].

هناك أيضاً مؤسسة كاريتاس الدولية، وهي مجموعة جمعيات خيرية عددها 162 جمعية حول العالم تابعة للبابا. تهدف مؤسسة كاريتاس الدولية، بالتزامن مع جمعيات كاريتاس الوطنية، إلى "إحداث تغيير إيجابي على المستوى الإنساني في قضايا الهجرة مثلاً وتجارة البشر والمناخ والأمن الغذائي، كما أنهم منخرطون في عملية تعزيز السلام من خلال حمل صوت الكنيسة إلى الأمم المتحدة، لا سيما في شؤون حل النزاعات"[37].

ليس هذا فحسب، فقد حرص الفاتيكان على مواكبة تطور وسائل الاتصال في خضم الثورة المعلوماتية والتكنولوجية التي يشهدها عصرنا الحالي. في السابع والعشرين من حزيران عام 2015، أطلقت الإرادة الرسولية للبابا فرنسيس الموقع الإلكتروني الرسمي لدولة الفاتيكان، ويحمل اسم Vatican News، وهو النظام الإعلامي الجديد للكرسي الرسولي، والمراد منه مواكبة احتياجات الكنيسة في الثقافة الرقمية المعاصرة من أجل التواصل مع أكبر عدد ممكن من الناس بشكل سلس وسريع، حيث إن محتوى الموقع متوفر بـ33 لغة، من ضمنها اللغة العربية"[38]. كما انفتح الفاتيكان على العالم الرقمي وشبكات التواصل الاجتماعي"، منذ اعتلاء البابا فرنسيس الكرسي البابوي عام 2013، لإيمانه بأن شبكة الإنترنت هبة من الله وأداة لنشر كلمته"[39]، اليوم، يصل عدد متابعي حساب البابا فرنسيس الرسمي على تويتر قرابة 19 مليون متابع.

هذه الوسائل تدعم دبلوماسية الفاتيكان وتمكنها من أداء دورها في المجتمع الدولي بشكل فاعل، لا تنافسها فيه دولة أخرى، حيث إن قوة الفاتيكان لا ترتكز على قضايا مثل الديموغرافيا أو الجغرافيا أو الاقتصاد أو القوة العسكرية؛ بل على السلطة الروحية والثقافية لدولة أثبتت قدرتها على التأقلم مع المتغيرات الزمنية والتحاور والتواصل بكل الوسائل الممكنة.

---

[35] أنطوان جوكي، "هاجس السلام والمصالحة في دبلوماسية الفاتيكان.. قوة الكلمة"، موقع صحيفة الاتحاد الإلكتروني، (2019). https://tinyurl.com/y67s6gyh

[36] "فرسان مالطا.. الهوسبتاليين"، مقالة على موقع الجزيرة الإلكتروني. https://tinyurl.com/yx9x2mw8

[37] " كاريتاس.. جمعية خيرية في خدمة البابا"، موقع زينيت -صوت روما إلى العالم- الإلكتروني، (2012). https://tinyurl.com/y4dq66vj

[38] الصفحة الإلكترونية الرسمية لدولة الفاتيكان: www.vaticannews.va

[39] "أميركيتان تديران حسابات البابا في التواصل الاجتماعي"، موقع صحيفة الشرق الأوسط الإلكتروني، (2015). https://tinyurl.com/y5nsku7w

آلية عمل دبلوماسية الفاتيكان

إن الحوار بين الأديان يتطلب التلاقي على قواسم مشتركة، ووفقاً لهذا المنظور، ظهرت مبادرة المفكر الكاثوليكي هانز كينج عام 1991، "التي أطلقها أثناء انعقاد مؤتمر عالمي للأديان في العام نفسه، وطرح آنذاك مقولة: (لا سلام في العالم إلا بالسلام بين الأديان، ولا سلام بين الأديان إلا بالتلاقي فيما بينها على أخلاق عالمية للسلام والعدل والحرية والتسامح)"[40]، فالدين هو نقطة التقاء مؤمني العالم، وهو ما يجمعهم بالرغم من اختلافاتهم الأخرى، وجميع الديانات والحضارات الإنسانية رفضت جميع أشكال العنف التي تهدد السلام العالمي باسم الدين، مثل الهجمات الإرهابية على دور العبادة. وما خاضه العالم من حروب وويلات في الماضي البعيد والقريب، ساهم في تعزيز دور المؤتمرات والمؤسسات الخيرية الدولية التي تهدف إلى تقديم العون لكل إنسان يحتاجه، بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى، "وفي هذا السياق، تبرز أهمية وثيقة الأخوة الإنسانية التي تم التوقيع عليها بحضور شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان في 4 فبراير، في ختام منتدى حوار الأديان بدولة الإمارات، فالوثيقة تدعو إلى التسامح والتصالح بين أتباع الديانات المختلفة"[41].

تسعى الدبلوماسية الفاتيكانية، ممثلة بالكرسي الرسولي، لبناء جسور الحوار والسلام بين الأمم، فهي تلتزم بالمساعدة وتقريب وجهات النظر من خلال التوسط في أي نزاع بين دول العالم للوصول إلى حل يرضي الطرفين بأقل الخسائر. إن البابا قادر على التحدث مع رئيس أي دولة بكل ندية، ولكن بهامش يختلف عن باقي رجال السياسة، فهو لا يحمل على عاتقه أي التزامات تتعلق بالبرامج الانتخابية مثلاً، بل مطالب باحترام مبادئ الاستقرار والاستمرارية في الكنيسة، لذلك، فهو يتمتع بعلاقات ومكانة دولية مميزة، ويلقى تدخله قبولاً وترحيباً من الجميع، ولكن تدخله مشروط برغبة ودعوة من أحد أطراف النزاع، إذ إن "معاهدة لاتران حظرت على دولة مدينة الفاتيكان الدخول طرفاً في المنازعات التي تنشب بين الدول أو حضور المؤتمرات الدولية للنظر في مثل هذه المنازعات، ما لم تدعَ إليها، كما اعتبرت المعاهدة الفاتيكان منطقة محايدة وتتمتع بحرمة خاصة"[42].

لم يكن تدخل الفاتيكان لحل النزاعات الدولية إيجابيّاً على الدوام، فقد كان تدخلها السياسي في الحرب الأهلية في رواندا، من أشد الصفحات قتامة في تاريخها، لما فيه من ممارسات إجرامية أبعد ما تكون عن الدين، فقد ساهم العديد من رجال الفاتيكان في إشعال هذه الحرب المرتبطة بالتنصير والتبشير. "في يوليو

---

[40] طه حسيب، "حوار الأديان من مسيحيي نجران إلى صناع السلام"، موقع صحيفة الاتحاد الإلكتروني، (2019).
https://tinyurl.com/y6jj8uqt

[41] محمود بوبوش، "القوة الناعمة للبابا في العلاقات الدولية المعاصرة"، المعهد المصري للدراسات، (2019).
https://tinyurl.com/y37wlxxz

[42] د. عصام العطية، القانون الدولي العام، (الطبعة السادسة المنقحة: بغداد- العراق، 2006). ص:558–559.

1994، دخلت فرق الجبهة الشعبية من أجل رواندا في كيجالي[43] ووضعت حدّاً للمعارك الجارية، فيما أقامت الكنيسة الكاثوليكية شبكة واسعة من الاتصالات لتسهل عملية هروب رجالها وأتباعها الذين ساهموا في القتل العرقي والإفلات من العدالة الدولية"[44]. كانت رواندا تتكون بشكل أساسي من قبيلتين هما الهوتو والتوتسي، حيث ركبت الأخيرة موجة الحرية في القارة الأفريقية، وكانت تميل إلى بلدان الكتلة الاشتراكية، "عندئذٍ، لم تتحمل الكنيسة رؤية موت نفوذها، خاصة أنها أكبر مالك للأراضي في رواندا، لذلك، اتجهت إلى الهوتو وحثتهم للحصول على حريتهم، ولجأت إلى المونسنيور بارودين (المونسنيور عضو في البلاط البابوي، من صلاحياته إدارة الشؤون العامة) لصياغة أول دستور يؤدي إلى خلق مجتمع قائم على الأبارتهايد بين الهوتو والتوتسي"[45]، وقامت الكنيسة بتحويل رجال الدين خاصتها إلى محاربين مسلحين من أجل سحق التوتسي. "شهدت رواندا أعمال عنف واسعة النطاق خلال العام 1994، بدأت في 6 أبريل، واستمرت حتى منتصف يوليو من العام ذاته؛ حيث شن القادة المتطرفون في قبيلة الهوتو، التي تمثل الأغلبية في رواندا، حملة إبادة ضد الأقلية من قبيلة التوتسي"[46]، راح ضحيتها ما يقارب مليون مواطن من التوتسي من خلال عمليات إبادة ممنهجة بإيعاز من الفاتيكان برئاسة البابا يوحنا بولس الثاني، طالت حتى أولئك الذين احتموا بالكنيسة الكاثوليكية بتواطؤ من الأساقفة القائمين عليها آنذاك[47].

من جهة أخرى، كان للفاتيكان دور إيجابي فاعل في إعادة العلاقات الدبلوماسية بين أميركا وكوبا، بعد قرابة نصف قرن من القطيعة والتوتر بينهما، بلغت ذروتها في أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962. فقد نشأ شرخ فكري بين البلدين بعد ثورة 1959 التي جاءت بفيديل كاسترو إلى السلطة[48]، فيما قطعت واشنطن

---

[43] الإبادة الجماعية في رواندا هي إبادة وقعت في أبريل 1994 حيث تعرضت الأمة الأفريقية الصغيرة في رواندا إلى أكثر الإبادات الجماعية في التاريخ في القرن العشرين، تمت بواسطة حدث سياسي خطير قام على أساس الدعاية العنصرية من مجموعة الأغلبية هوتو وقاموا بذبح أكثر من ثمانيمئة ألف فرد من جماعة الأقلية التوتسي مدة 100 يوم بواسطة استخدام المنجل. وقد تم تفسير هذه الصراع على أساس التنافس القبلي بين الجماعتين الممتد منذ قرون.

[44] د. زينب عبد العزيز، "الفاتيكان: خلفيات وأهداف"، (2011). ص: 24. https://tinyurl.com/y33uvf5q

[45] المرجع السابق.

[46] بيرم ألتوغ، "الإبادة الجماعية في رواندا منعطف لحياة المسلمين"، الموقع الإلكتروني لوكالة الأناضول الدولية، (2017). https://tinyurl.com/y2wos62b

[47] هيثم مناع، المقاومة المدنية في عناصر المناعة الذاتية للمجتمعات، (المعهد الإسكندنافي لحقوق الإنسان: جنيف، سويسرا، 2015). صفحة: 100-101-102-103-104. https://2u.pw/KEXEL.

[48] الثورة الكوبية أو ثورة فيديل كاسترو: في 1959، اكتسح رجال حرب العصابات في هافانا برئاسة الشيوعي فيديل كاسترو وأسقطوا الديكتاتورية العسكرية لفولجنسيو باتيستا، رغم تسليح حكومة أميركا وتمويلها لباتيستا ولعملاء الـCIA داخل جيش عصابات كاسترو، إذ تمكن الثوار من دخول العاصمة هافانا في ذلك العام، ليبدأ عهد جديد في حياة كوبا بعد انتصار الثورة وإطاحتها بحكم الديكتاتور "باتيستا".

علاقاتها الدبلوماسية مع هافانا عام 1961 بعد تحول كوبا إلى الاشتراكية وتحالفها الوثيق مع الاتحاد السوفييتي[49].

"يذكر أن الفاتيكان قد تدخل في المفاوضات ابتداءً من صيف 2012 بناءً على طلب الأميركيين"[50]، وبعد محادثات دامت ما يقارب 18 شهراً برعاية فاتيكانية، في الأول من يوليو 2015، "أعلن الرئيس الأميركي السابق أوباما أن بلاده وكوبا ستعيدان فتح سفارتيهما في هافانا وواشنطن إيذاناً ببدء فصل جديد في العلاقات بينهما بعد نصف قرن من العداء"[51]. لقد ساهم وجود جالية كاثوليكية في كوبا بشكل إيجابي كبير في عمل دبلوماسية الفاتيكان، "حيث أكد في بيان له أن دبلوماسييه سهلوا المحادثات بين البلدين التي أدت إلى حلول مقبولة للطرفين"[52]، وخلق قنوات حوار بين أميركا وكوبا من خلال الزيارات التي قاموا بها للبلدين، "وقال أوباما إن البابا فرنسيس، وهو أول بابا للفاتيكان من أميركا اللاتينية، لعب دوراً نشطاً وعمل عن كثب مع الجانبين"[53]. وأسفر الاتفاق عن إعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما وتبادل السجناء ورفع القيود عن التجارة والسفر تدريجيّاً، وتبادل الزيارات بين رئيسي البلدين.

يتمتع البابا بشبكة علاقات دولية تمكنه من التدخل في شتى القضايا، كالمؤتمر الذي نظمه الفاتيكان ممثلاً بالمجلس البابوي للحوار بين الأديان، وعقد في القصر الرسولي تحديداً، بعنوان: "الأديان وأهداف التنمية المستدامة"[54]، وقد حضر اللقاء ممثلو المؤسسات الدينية وصانعو السياسات من المنظمات الدولية المختلفة. وأكد البابا فرنسيس فيه أهمية دور القيم الإنسانية والدينية في خدمة جميع مجالات التنمية، وليس فقط التنمية ذات الأهداف الاقتصادية، لأن ذلك يصبح مقتصراً على المعنى المادي واستغلال الطاقات البشرية، بينما يجب التركيز على ما هو أعمق وأبعد من ذلك، من ترسيخ قيم التعايش السلمي واحترام الآخر، بغض النظر عن الجنس والعرق والدين والتوجه الفكري والسياسي، وهو ما أكده رئيس جامعة اللاتيران الحبرية البروفيسور بونومو في مقابلة أجراها معه موقع الفاتيكان الرسمي في وقت سابق للمؤتمر، حيث قال: "إن العلاقات الدبلوماسية بين الدول ترمي عادة للتوصل إلى اتفاقات اقتصادية أو سياسية أو ثقافية، أما الوضع،

---

[49] د. محمد بوبوش، "القوة الناعمة للبابا في العلاقات الدولية المعاصرة"، المعهد المصري للدراسات، (29 مارس، 2019). https://2u.pw/1Yt2P .

[50] موريس قديح، "الفاتيكان: دبلوماسية بهوامش مناورة كثيرة"، موقع صحيفة الأخبار الإلكتروني، (2017) https://tinyurl.com/y22bh7hp

[51] "العلاقات الأميركية الكوبية.. محطات التوتر والانفراج"، موقع الجزيرة الإلكتروني، https://tinyurl.com/yxce8zef

[52] "إعادة العلاقات الدبلوماسية بين أميركا وكوبا بعد 50 عاماً"، الموقع الرسمي لوكالة رويترز بالعربية، (2014) https://tinyurl.com/y4qbsrd4

[53] المرجع السابق.

[54] "البابا فرنسيس يستقبل المشاركين في مؤتمر الأديان والتنمية المستدامة"، الموقع الإخباري الرسمي لدولة الفاتيكان، (2019). https://tinyurl.com/y22yvvom

فيختلف بالنسبة للكرسي الرسولي الذي يملك أقدم دبلوماسية في العالم، وقد مارس هذا النشاط على مرّ التاريخ، حيث يطمح لأن يُسمع صوته، لا سيما في القضايا المتعلقة بخير كل كائن بشري"[55].

إذاً، لا غنى عن إقامة جسور حوار وبناء ثقة بين مختلف الأطراف، بغض النظر عن القضايا والمجالات، وأن قبول الأطراف بتدخل الفاتيكان والجلوس إلى طاولة الحوار والتفاوض، يأتي في إطار أهداف الكرسي الرسولي ممثلاً بالبابا، لا سيما أن البابا فرنسيس الحالي ومنذ وصوله إلى الحكم، تبنى دبلوماسية تعزز سبل التعاون بين مختلف الأطراف في النظام الدولي، ويحاول قدر المستطاع تبني سياسة الانفتاح على مختلف الأديان والحضارات والتصالح معها، كما يحاول رأب الصدع الذي أحدثته الكنيسة في أحداث مظلمة في تاريخها كالإبادة الجماعية في رواندا، بتقديم المساعدات الإنسانية والاجتماعية والنفسية عبر مؤسسات الفاتيكان المختلفة، أملاً في تغيير صورة الكنيسة المشوهة هناك.

الخاتمة

[55] "رئيس جامعة اللاتيران الحبرية يتحدث عن النشاط الدبلوماسي للكرسي الرسولي"، الموقع الإلكتروني الرسمي للفاتيكان، https://tinyurl.com/y4brnvf2 . (2019)

تعد الفاتيكان دولة فريدة من نوعها، فهي على حالها بحدودها ووضعها الحالي منذ اتفاقية لاتران عام 1929، كما أن دبلوماسيتها فريدة أيضاً بحكم كونها لا تعتمد على معطيات من نوع حجم الدولة ومقوماتها الاقتصادية والبشرية أو قوتها العسكرية كبقية الدول، بل تستمد قوتها وتأثيرها من عناصر أخرى تتيح لها المناورة على الساحة الدولية، أهمها أتباع الكنيسة الكاثوليكية حول العالم الذين يزيد عددهم على المليار، وكذلك ديناميكيتهم الديمغرافية التي تلعبها جنسياتهم ولغاتهم وأعراقهم وتوجهاتهم الفكرية المتنوعة والمختلفة. ويعطي هذا الانتشار للكنيسة عمقاً لوجستيّاً بمعرفة الأوضاع في مختلف البلدان من خلال المؤسسات التعليمية والتربوية والاجتماعية والتنموية المقامة فيها بإدارة وإشراف الفاتيكان، دون الحاجة لجهاز استخباراتي لدولة الفاتيكان. من ناحية دبلوماسية، تشكل هذه الأمور عوامل حاسمة في أحيان كثيرة في عمل القاصد الرسولي (السفير البابوي)، في بلد معين، عن طريق العلاقات مع المؤسسات الكاثوليكية والأساقفة والرهبان، بغض النظر إن كانت القضية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

العامل الثاني الذي يمنح الفاتيكان قوة تأثير هو وحدة لغة الخطاب وثباتها، فهو خطاب إنساني يدعو إلى الدفاع عن الحرية الدينية والدعوة إلى احترام الروح البشرية والحفاظ عليها وحق الشعوب بالعيش في سلام وطمأنينة. وأخيراً، تبادل التمثيل الدبلوماسي مع غالبية دول العالم، إذ يتمتع الفاتيكان بواحدة من أكبر الشبكات الدبلوماسية على الصعيد الدولي، وهذا الجهاز لديه خبرة واحترافية، ولعب دوراً فعالاً في مختلف القضايا، من خلال التشبيك بين ممثليه حول العالم، والاتصال والتواصل المستمر والتحرك حسب توجيهات الكرسي الرسولي ممثلاً بالبابا فرنسيس، الذي أخذ على عاتقه أكثر من أي بابا سابق اتخاذ مواقف جريئة وأحياناً خطرة، لكنها في جوهرها إنسانية ونبيلة من منظور دبلوماسي، توحي بأن الفاتيكان قد تراجع عن حذره التقليدي في التعامل مع قضايا العالم، وإمكانية لعب الكرسي الرسولي دوراً شاملاً وحميداً بما يخدم ويحقق المنفعة للبشرية.

وعليه، لا يمكن الفصل بين دبلوماسية الفاتيكان الدينية والسياسية، كونهما وجهين لعملة واحدة، تظهر في قبول التعددية تحت مظلة الإنسانية من أجل بناء الأمن والسلام العالميين، والحفاظ على القيم الإنسانية بين أتباع الثقافات والأديان، باعتبارها مسؤولية تقع على عاتق الجميع، تستوجب الالتزام وتضافر الجهود من أجل تحقيق ما تطمح إليه الدول وشعوبها بتحقيق الاستقرار والسلام والازدهار.

المراجع

- "إعادة العلاقات الدبلوماسية بين أميركا وكوبا بعد 50 عاماً، (2014).
https://tinyurl.com/y4qbsrd4
- "العرب والولايات المتحدة الأميركية: المصالح والمخاوف والاهتمامات في بيئة متغيرة"، بيروت: 2017. https://tinyurl.com/yyugnhb7
- "البابا فرنسيس يستقبل المشاركين في مؤتمر الأديان والتنمية المستدامة"، (2019)
https://tinyurl.com/y22yvvom
- "العلاقات الأميركية الكوبية.. محطات التوتر والانفراج"،
https://tinyurl.com/yxce8zef
- "أميركيتان تديران حسابات البابا في التواصل الاجتماعي"، 2015.
https://tinyurl.com/y5nsku7w
- لمياء تخة. "دور البعد الديني في السياسة الخارجية للدول: نموذج دولة الفاتيكان". الجزائر، (2017). https://2u.pw/4Nezm
- "تعرف على سانت إيجيديو.. منظمة كاثوليكية تسعى للتوسط من أجل السلام"، لندن: 2018.
https://tinyurl.com/y5o68ux8
- "رئيس جامعة اللاتيران الحبرية يتحدث عن النشاط الدبلوماسي للكرسي الرسولي"، (2019).
https://tinyurl.com/y4brnvf2
- "فرسان مالطا.. الهوسبتاليين"، https://tinyurl.com/yx9x2mw8
- "كاريتاس.. جمعية خيرية في خدمة البابا"، 2012 https://tinyurl.com/y4dq66vj
- ألتوغ، بيرم. "الإبادة الجماعية في رواندا منعطف لحياة المسلمين"، 2017.
https://tinyurl.com/y2wos62b
- بوبوش، محمد. القوة الناعمة للبابا في العلاقات الدولية المعاصرة، (2019).
https://tinyurl.com/y37wlxxz
- جوكي، أنطوان. "هاجس السلام والمصالحة في دبلوماسية الفاتيكان.. قوة الكلمة"، 2019.
https://tinyurl.com/y67s6gyh
- حسيب، طه. "حوار الأديان من مسيحيي نجران إلى صناع السلام"، 2019.
https://tinyurl.com/y6jj8uqt
- الزيني، رهام. "الفاتيكان الدولة الأكثر غموضاً". صحيفة البيان، (28 ديسمبر 2019)،
https://2u.pw/ZRMax

- سليمان، عبد العزيز، ونعني نوار. التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية. لبنان، 2014.
- سمراني، أنطوني. "أي دور للفاتيكان في السياسة العالمية"، 2015.
https://tinyurl.com/y2pqkmg2
- عبد العزيز، زينب. الفاتيكان خلفيات وأهداف، 2011.
- العتر، محمد. "أسرار من دولة الفاتيكان المقدسة"، 2015.
https://tinyurl.com/y6j68c9l

- العطية، عصام. القانون الدولي العام. بغداد: العراق، 2006.
- عياد، مايكل. "في ذكرى استقلال الفاتيكان.. تعرف على تاريخ أصغر دول العالم"، البوابة القبطية، 2018 . https://tinyurl.com/y475b7mp
- قديح، موريس. "الفاتيكان: دبلوماسية بهوامش مناورة كثيرة"، 2017.
https://tinyurl.com/y22bh7hp
- كامل، مصطفى. "بابا الفاتيكان عن جدار ترامب: الخوف من المهاجرين يدفعنا للجنون"، 2019 . https://tinyurl.com/y3te9vsv
- الكيلاني، محمود. "بابا الفاتيكان يستحدث وزارة جديدة لتأهيل ورعاية شؤون الدبلوماسيين"، 2017.
https://tinyurl.com/y48e5l9k
- مناع، هيثم. المقاومة المدنية في عناصر المناعة الذاتية للمجتمعات. جنيف: المعهد الإسكندنافي لحقوق الإنسان، 2015
- الموقع الإلكتروني الرسمي لدولة الفاتيكان: www.vaticannews.va
- الموقع الإلكتروني الرسمي للأمم المتحدة: https://tinyurl.com/y53nqzeo

- Aydin, Mahmoud. **Modern Western Christian Theological Understandings of Muslims since the Second Vatican Council**. Washington, DC: The Council for Research in Values and Philosophy, 2002.
- Osterreicher, Jan. **The Holy See as a Soft Power Actor**. Libadmin, 2015.
- R. Gallagher, **Charels. Vatican Secret Diplomacy**. Yale university press: USA, 2008.

- Toffler, Alvin. **Future Shock**. Random House Publications: USA, 1970.
- Toffler, Alvin. **The Third Wave**. Bantam Books Publications: USA, 1980.